

١٥



# جَوَابِيَّةُ بَيْتِ الْحَلَالِ

الرَّسُولُ ﷺ يُصَاهِرُ الْيَهُودَ

بقلم : د. وجيه يعقوب السيد

بريشة : ا. عبد الشافي سيد

إشراف : ا. حمدي مصطفى

دار النشر : دار الفکر للطباعة والنشر والتوزيع

لو أردنا أن نضرب المثل على إنسانية الرسول ﷺ وعظمة أخلاقه ، لوجدنا مئات القصص والمواقف التي تبرهن على ذلك ، على أن قصة زواج الرسول ﷺ من جويرية بنت الحارث اليهودية الأصل ، تعد من أفضل النماذج ، التي تؤكد على عظمة هذا الرسول ﷺ وسمو أخلاقه ، حيث أثبت بهذا الزواج ، أن نفسه لا تعرف الانتقام أو الحقد ، بل تدعو إلى التسامح والحب والسلام ..

فيها هو ذا ﷺ يتزوج جويرية بنت الحارث بن ضرار سيد بني المصطلق ، الذي قاذ جُموع اليهود ، وتأمر معهم على قتل محمد ﷺ مهما كان الثمن .. ولم يقابل الرسول ﷺ هذا الصنيع بما يستحقه ، بل ضرب المثل في السماحة والعفو .. ولتبدأ القصة إذن من بدايتها .

فقد وضع يهود بني المصطلق خطة لاغتيال الرسول ﷺ ، برغم العهد التي كانت بينهم وبينه ، وعلم الرسول ﷺ بذلك ، فجمع أصحابه وأسرع في الخروج ، لكي يفاجئوا اليهود في أماكنهم .

وَجَمْعُ الصَّحَابَةِ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ، وَالْغَيْظُ يَمْلَأُ قُلُوبَهُمْ

بِسَبَبِ غَدْرِ الْيَهُودِ ، وَقَالُوا : سَيَرَى الْيَهُودُ مَا يَكُونُ

سَوْفَ يَنْدَمُ الْيَهُودُ عَلَى تَحْرِيطِهِمْ خِذَا الرَّسُولِ ﷺ .

وَأشار الرسول ﷺ على أصحابه بضبط

النفس ، ثم أمر جنوده بالالتفاف حول



ماء «المريسيع» ، لكي يضمن المسلمون وجود الماء ،  
وفرض الحصار على يهود «بنى المصطلق» ، لكي  
يستسلموا له ، وراح يهود بنى المصطلق يقذفون المسلمين  
بنبالهم ولكن دون جدوى ، فقد كانت نبالهم لا تصيب  
أهدافها ، بينما راح اليهود يتساقطون أمام سهام المسلمين  
المتتالية .

وأمر الرسول ﷺ المسلمين بالهجوم الشامل على قواعد  
اليهود ، فاندفع المسلمون بقوة ، وحملوا على الأعداء  
حملة قوية ، وأخذت سيوفهم تحصد رقاب اليهود ، فمات  
منهم عدد كبير ، وهرب منهم عدد أكبر ، أما من بقي  
منهم فقد استسلموا للمسلمين ، فأخذهم المسلمون أسرى .  
وبعد أن حققت هذه الغزوة أهدافها ، أمر الرسول ﷺ  
المسلمين بالعودة إلى المدينة المنورة ، فرجعوا وهم  
يحملون ما أنعم الله عليهم من الغنائم والأسرى ، وكان من  
بين الأسرى «جويرية بنت الحارث بن أبي ضار» ، قائد بنى  
المصطلق وزعيم المؤامرة ضد رسول الله ﷺ .

وأخذ كلُّ مُسلم نصيبه من الغنائم والأسرى ، فوَقعت  
 «جُويرية بنت الحارث» ، في سَهم ثابت بن قيس ، فطلبت  
 منه أن يَفديها بِالمال ويتركها حرةً لوجه الله ، لكن ثابت  
 ابن قيس اشترطَ عليها أن تدفعَ مالاً كثيراً لكي تَفدى  
 نفسها ، بعد أن علم أنها ابنة زعيم بني المصطلق ،  
 فعجزت عن ذلك ، فقد فر أبوها مع الفارين وليس معها من  
 المال ما تَفدى به نفسها .



وسألت أسيرة كانت معها في الأسر :

- ما العمل ؟ وهل أصبح أسيرة وأنا بنت زعيم بني المصطلق ؟

ف قالت لها :

- اذهبي إلى محمد ، واغرضي عليه الأمر ، فقد يساعدك .  
وتعجبت جويرية من كلام جارتها وقالت في دهشة :

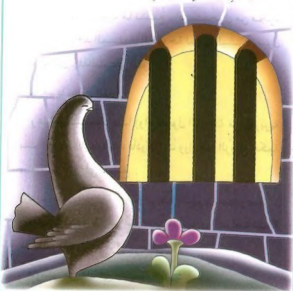
- كيف أذهب إلى محمد ، وأبى هو الذي قاد جموع اليهود ضده ؟

ف قالت لها :

- لن تندمي ، فإن قلب محمد لا يعرف الحقد أو الانتقام !  
وعملت جويرية بنت الحارث بمشورة صاحبها ،  
وذهبت إلى رسول الله ﷺ وقالت له :

- يا رسول الله ، أنا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار  
سيد بني المصطلق ، وقد أصابني من البلاء ما قد علمت ،  
فوقعت في نصيب ثابت بن قيس ، فكاتبته على نفسي .

فَسَأَلَهَا الرَّسُولُ ﷺ عَمَّا تُرِيدُهُ كَيْ يَقْضِيَهُ لَهَا فَقَالَتْ :  
 - لَقَدْ جِئْتُ أَسْتَعِينُ بِكَ لَتُدْفَعَهَا عَنِّي وَتَرُدَّ إِلَيَّ حُرِّيَّتِي !  
 وَنَظَرَ الرَّسُولُ ﷺ إِلَى مَا هُوَ أَبْعَدُ مِنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ :  
 - هَلْ لَكَ فِي خَيْرٍ مِمَّا طَلَبْتِ ؟



فَقَالَتْ جُؤَيْرِيَّةُ :

- وما هو يا رسول الله ؟

فَقَالَ ﷺ :

- أَدْفَعِ كِتَابَتَكَ وَأَتَزَوَّجُكَ !

وَلَمْ تَصْدُقْ جُؤَيْرِيَّةُ مَا تَسْمَعُ ، إِذْ سَتَحَوَّلُ مِنْ مُجْرَدِ  
أَسِيرَةٍ عِنْدَ أَحَدِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى زَوْجَةِ لِسَيِّدِ الْبَشَرِ وَرَسُولِ  
رَبِّ الْعَالَمِينَ ، فَقَالَتْ عَلَى الْقَوْرِ :

- نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ .

وَعَلِمَ الْمُسْلِمُونَ بِنِهَا زَوَاجِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ جُؤَيْرِيَّةِ  
بِنْتِ الْحَارِثِ الْيَهُودِيَّةِ ، فَأَذْرَكُوا أَنْ وَرَاءَ هَذَا الزَّوَاجِ حِكْمَةٌ  
سَامِيَةٌ ، وَقَالُوا فِي تَسَامُحٍ :

- إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، صَارَ يُرْبِطُهُ بِالْيَهُودِ نَسَبٌ وَصِهْرٌ ،  
وَيَجِبُ أَنْ نَطْلُقَ مَنْ فِي أَيْدِينَا مِنَ الْأَسْرَى إِكْرَامًا لِهَذَا  
النَّسَبِ وَهَذِهِ الْمَصَاهِرَةِ !

فَأَرْسَلُوا مَنْ كَانَ فِي أَيْدِيهِمْ وَقَالُوا :



— هم أصحاب رسول الله ﷺ !

فكان هذا الزواج سبباً في عتق مائة أسرة من اليهود ،  
كان مصيرها إما الأسر وإما القتل ، وبذلك كان هذا الزواج  
الميمون بركة على عدد كبير من اليهود ، وفرصة لسائر  
اليهود ليتأملوا في أخلاق هذا الرسول العظيم ، الذي



ضربَ لهم المثلَ الأسمى في السَّماحةِ وَضبطَ النَّفسِ ،  
وما زالَ يطمعُ في هِدَايَتِهِمْ وَتَوْبَتِهِمْ .

ولذلك قال العلماءُ تعليقًا على هذا الزَّواجِ المبارك :

- ما مِن امرأةٍ كانتْ أعظمَ بركةً على قومِها مِن جُوَيْرِيَّةِ  
بنتِ الحارثِ ، حيثُ أعْتَقَ بزواجِها مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ ،  
أهلُ مائةِ بَيْتٍ مِن يهودِ بني المصْطَلِقِ !

وبعدَ مدَّةٍ طَلَبَ والدُ جُوَيْرِيَّةِ الأمانَ مِنَ الرِّسولِ ﷺ  
فأعطاهُ إِيَّاهُ ، فجاءهُ وقالَ له :

- يا رسولَ اللَّهِ ، أصبَّمتُ ابنتي ، وهذا فِدَاؤُها . فإنَّ ابنتي  
لا يُسبِّي مِثْلُها !

فقالَ لَهُ رسولُ اللَّهِ ﷺ :

- أَرَأَيْتَ إِنْ خَيْرْتُها ، أَلَيْسَ قد أَحْسَنْتُ ؟  
فأجابهُ الحارثُ :

- بلى يا رسولَ اللَّهِ .

فأتى النَّبيُّ ﷺ بجُوَيْرِيَّةِ بنتِ الحارثِ فسألها أبوها :

يا بنتي قد جئت بفدائك ، فهل تأتين معي أو تبقيين مع

محمد ؟

فقالَتْ جويريةُ :

ـ لقد اخترتُ اللهَ ورسولَهُ .

وبهرتُ أخلاقُ محمدٍ ﷺ الحارث بن ضرارٍ حيثُ كانَ

بإستطاعته أن يحتفظَ بابنته أسيرةً عندهُ ، لكنه ﷺ حرَّرها



من الأسرى ، وتزوجها وأعاد إليها كرامتها ، وجعلها أما  
للمسلمين ، شأنها شأن عائشة وحفصة وزينب .

ولم يلبث الحارث طويلاً حتى دخل قلبه الإسلام ،  
فقال بأعلى صوته :

— أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله !

ومنذ إعلان هذا الزواج المبارك ، صارت للأسرى من  
اليهود حرمة لدى المسلمين ، فهم وإن كانوا قبل هذا  
الزواج أعداء للرسول ﷺ ، إلا أنهم أصبحوا أصحاباً له ﷺ  
بهذا الزواج ، وهذه هي الحكمة التي من أجلها تم هذا  
الزواج ، وهي تدل على سعة إدراكه ﷺ ، وحسن سياسته  
وتقديره للأمور ، فقد كان هذا الزواج دعوة للإسلام بين  
قوم امتلأت قلوبهم بالحقد والكراهية .

لقد خرج الرسول ﷺ مخروءاً تأديب يهود بني المصطلق ،  
ولم يكن يريد شيئاً غير ذلك ، فأعانه الله عليهم ونصره  
نصراً مؤزراً ، لكن هذا النصر ، لم يكن هو كل ما يريده  
الرسول ﷺ ، بل كان يطمع في انتصار أعظم من هذا ،

وهو انتصاره على هذه الأرواح الشريرة وغرس قيم الدين  
ومبادئه في نفوسهم .

إنه كان يريد تغيير واقع هؤلاء ، فيصبحوا جنوداً من  
جنود الحق ، لا آلة عمياء تحركها الكراهية وبعث بها  
الشیطان ، يريد أن تتطهر قلوبهم ونفوسهم من هذا المكر  
وهذا الخبث ، ولذلك فقد خرج ﷺ .



والأملُ بِحُدُوءِهِ فِي تَحْقِيقِ ذَلِكَ ، وَحَقًّا لَقَدْ أُمِرَ زَوَاجُ  
الرَّسُولِ ﷺ النَّتِيجَةُ الطَّيِّبَةُ الَّتِي كَانَ يَتَمَنَّاها ، فَقَدْ ثَابَ  
كَثِيرٌ مِنَ الْيَهُودِ إِلَى رُشْدِهِمْ ، وَنَسِيَ الْمُسْلِمُونَ كُلُّ مَا سَبَقَ  
مِنْهُمْ ، فَصَفَحُوا عَنْ مَاضِيهِمْ وَتَسَامَحُوا مَعَهُمْ .

وَكَانَ لِهَذَا التَّسَامُحِ أَكْبَرُ الْأَثَرِ فِي نَفُوسِ الْيَهُودِ ، حَيْثُ  
ظَلُّوا مُتَذَكِّرِينَ لِهَذَا الصَّنِيعِ ، وَهَذَا الْمَوْقِفِ الْإِنْسَانِي  
الْنَبِيلِ ، فَتَغَيَّرَتْ نَفُوسُ كَثِيرٍ مِنْهُمْ .

وَأَرَادَتْ جُوبَرِيَّةُ بِنْتُ الْحَارِثِ \* أَنْ تَكْفُرَ عَنْ مَاضِيهَا ،  
حَيْثُ كَانَتْ تَعِيشُ فِي ظُلُمَاتٍ وَضَلَالٍ ، فَرَأَتْ تَكْثُرَ مِنَ  
الْعِبَادَةِ وَتَتَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ بِصَالِحِ الْأَعْمَالِ ، فَهِيَ الْآنَ زَوْجَةٌ  
لنَسِيِّ كَرِيمٍ ، فَمَا أَحْوَجَها إِلَى مَزِيدٍ مِنَ الطَّاعَةِ وَالْعِبَادَةِ حَتَّى  
تَكُونَ جَدِيرَةً بِهَذَا الْفَضْلِ .

وَلِذَلِكَ فَقَدْ كَانَتْ جُوبَرِيَّةُ تَقْضِي أَكْثَرَ وَقْتِهَا فِي الصَّلَاةِ ،  
وَقَدْ مَرَّ بِهَا الرَّسُولُ ﷺ وَهِيَ قَائِمَةٌ تَصَلِّي فِي الْمَسْجِدِ ، ثُمَّ  
مَرَّ عَلَيْهَا بَعْدَ فِتْرَةٍ وَقَدْ انْتَصَفَ النَّهَارُ ، وَهِيَ مَا تَزَالُ عَلَى  
هَذَا الْحَالِ ، فَتَعَجَّبَ الرَّسُولُ ﷺ وَقَالَ لَهَا :

مازلت على ذلك !

قالت :

نعم .

فقال ﷺ :

— ألا أعلمك كلمات تقولينهن ؟ سبحان الله عدد خلقه ،  
ورضاه نفسه ، وزنة عرشه ، ومداد كلماته !



فكانت جُويرية (رَضِيَ اللهُ عَنْهَا) لا تترك هذا الدُّعاء الذي  
 علَّمها إياه الرسول ﷺ ، كما كانت جُويرية كثيرة الصَّيام ،  
 دخل عليها رسول الله ﷺ يومَ جمعةٍ وهي صائمةٌ ، فقال :  
 أصُمَّتِ أمْسِ ؟ قالت : لا . قال : فتصومين غداً ؟ قالت : لا .  
 قال : فافطري !

فعلَّمها الرسول ﷺ ، وعلم كلَّ المسلمين ، أن صيام يوم  
 الجمعة بمفرده غير جائز ، إلا إذا كان مصحوباً بيومٍ قبله أو  
 بعده .

وعاشت جويرية (رَضِيَ اللهُ عَنْهَا) حتى عام خمسين للهجرة ،  
 وتولَّبت عن عُمر يقارب الخامسة والسَّتين ، وقد تزوجها  
 الرسول ﷺ في السنة السادسة ، رَحِمَهَا اللهُ رَحْمَةً واسعةً ،  
 ونفعنا بسيرتها ، وملأ قلوبنا بالنور والهداية !

(تَمَّتْ)

الكتاب القادم

صفية بنت حيي بن أخطب (١)

رقم الإيداع : ١٠٠١/١٩٩٢

التراخيص الدولية : ١٠٠١ - ١٩٩٢ - ١٩٩٢